

دراسة الحكمة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

*صائمه صديقي

** الحافظ عبدالرحيم

Abstract

Evidently the Muslim had been the torch-bearers of knowledge and literature. Their contribution towards science and philosophy is of great significance. In this connection their role of dissemination of wisdom covering the various fields of life is of great importance. This research focuses on the meanings of Wisdom which has been studied in the light of the Holy Quran and As-Sunnah with the views and sayings of prominent mufasssiren scholars because Al-Quran-al-Hakeem and As-Sunnah al Nabvia are basic sources of wisdom.

تعتبر الحكمة من الغايات التي يسعى الإنسان للوصول إليها لذا امتدحها القرآن الكريم قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: 261].
للحكمة معان عند أهل اللغة والحكام والمفسرين ، وإليك بيانها بإيجاز .

الحكمة في اللغة:

الحكمة من الحكم (أصله المنع) لأنها تمنع من الجهل. وحكمت فلانا تحكيما: منعه مما يريد ، ورجل حكيم: عدل حكيم ، المانع من الفساد، وأحكم الأمر: أتقنه وأحكمته التجارب على المثل. (1) ومنها حكمة اللجام: لأنها تمنع الفرس من الجري والذهاب في غير قصد، والسورة المحكمة: الممنوعة من التغيير والتبديل، وأن يلحق بها ما يخرج عنها ويزاد عليها ما ليس منها. (2) ويقال أحكم الشيء إذا أتقنه و منعه من الخروج عما يريد، فهو محكم و حكيم على التكثر. (3)

تستعمل الحكمة للصفات العديدة كالعدل والعلم والحلم والذكاء والذكر وسرعة الفهم وقوته وصفاء الذهن وسهولة التعلم. (4) الحكمة القضاء بالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها في غاية الأحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات. (5)
الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويوصف بها من يحسن دقائق الصناعات ويتقنها.

ومن معاني الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل ، معرفة الموجودات وفعل الخيرات ، معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، العلم والحلم ، العدل في القضاء ، النبوة ، القرآن والتوراة والإنجيل ، التفقه ، العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. (6)

الحكمة القضاء ، و من الله معرفة الأشياء وإيجادها في غاية الإحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات. (7)

*محاضرة اللغة العربية بالكلية الحكومية -مخدوم رشيد/باحثة الدكتوراه بجامعة بهاء الدين زكريا ملتان.
** أستاذ اللغة العربية بجامعة بهاء الدين زكريا ملتان.

وهذه المعاني كلها قريبة بعضها من بعض ، ويتضح مما تقدم أن معاني الحكمة كلها تدور حول معنى المنع ، فالعدل يمنع صاحبه من الظلم، والحلم يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب والعلم يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل.

الحكمة في الاصطلاح:

حصر العلماء الحكمة في معاني متعددة ، كل حسب تخصصه ، فمن ذلك :

1- الحكمة معرفة الحق والعمل به (8) أي المعرفة التي لا تقابل الإنكار لا بالجهل ولا بالشك(9) وإصابة الحق في القول والعمل. وإصابة الحق بالعلم والعقل ، وحكمة الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات و فعل الخيرات.(10)

2- الحكمة هي العلوم الحقيقية الإلهية التي تبحث في الله و صفاته و أفعاله. و حقائق الأشياء على ما هي عليه ، والعمل بمقتضاها وإيجادها في غاية الأحكام(11) و أحوال الموجودات على ما هي عليه ، ولهذا قسمها العلماء إلى عملية و علمية. ويرى بعض العلماء أنها هيئة القوة العقلية العلمية. وهذه هي الحكمة الإلهية. أضف إلى ذلك أن الحكمة تعني الحلم والعدل" وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب". وهي كمال القوة النظرية. وهي التوسط بين رذيلتين البلادة والجريزة الأولى تقريطها والثانية إفراطها.(12)

3- الحكمة هي المطالب الحق التي ترسم في النفس وتوجب التوفيق بين الاعتقاد والعمل والسوق إلى الكمال المنشود للإنسان(13) كما تعني موافقة الحق السالم من الحشو ، وهي ثمرة التجربة ونتيجة الخبرة وخلصتهما (14) و معرفة خير لأجل العمل به وهو التكليف الشرعية. وتعني العلوم الحقيقية الإلهية" أي التي تبحث في الله و صفاته و أفعاله. وتستمد حقائقها من الكتاب والسنة والعقل والإجماع . ومن الحكمة العلم الإحاطي الذوقي مقرونا بما يرتبط به من العمل. أي عملك الذي يزيد في خيالك يسمى إدراكاً، وقيامك بموجبه في الخارج يسمى إحاطة.(15)

4- الحكمة عند بعض العلماء هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها، وعبر بعضهم عن هذا المفهوم فقال: هو العلم النافع المعبر عنه بمعرفة مالها وما عليها ، المشار إليها في قوله تعالى: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة:269]" (16)

5- هو علم باحث عن أحوال الموجودات على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية. فهو الباحث عن أحوال أعيان الموجودات العينية الخارجية ، وحمل تلك الأحوال عليها، يعني علم تحمل فيه أحوال أعيان الموجودات على وجه هي موجودة عليه ، من الإيجاب والسلب، والكلية والجزئية في نفس الأمر."إن الحكمة هي الشرائع، وهذا لا ينافي في ما ذكره السالكون بطريق أهل النظر والاستدلالات، وطريقة أهل الرياضة والمجاهدات، فإن اتبعوا ملة فهم المتكلمون والصوفيون، و إلا فهم الحكماء المشائيون والإشراقيون – ولا يلزم من ذلك أن لا يكون الصوفي حكيمًا، بل غاية ما يلزم منه أن لا يكون حكيمًا مشائياً وإشراقياً.(17)

ونخلص مما سبق أن الحكمة هي القضايا الحقّة المطابقة للواقع من حيث اشتغالها بنحو على سعادة الإنسان كالمعارف الحقّة الإلهية في المبدأ والمعاد، والمعارف التي تشرح دقائق

العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الإنسان كالحقائق الفطرية التي هي أساس التشريعات الدينية. (18)

ومن العلماء من نظر إلى محتوى الحكمة من حيث المفهوم ، وما يترتب عليه من النتائج في حياتنا اليومية فقال معيناً لمحتواها :
الحكمة :علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. وموضوعه الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان و غايته التشرف بالكمالات في العاجل والفوز بالسعادة في الآجل. وقال بعض المحققين هي العلم بأحوال الأعيان الموجودة على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية ، ودخول الأفعال والأعمال التي نوجدها بقدرتنا واختيارنا أولى . فالعلم بأحوال الأول من حيث يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية والعلم بأحوال الثاني يسمى حكمة نظرية.(19)

الحكمة عند القدماء:

اتخذت الحكمة عند القدماء معانٍ دينية ، وتجدها ممثلة في التراثات السومرية والبابلية والمصرية والصينية والهندية، فعرف السومريون كثيراً من الأمثال، والقواعد الحكمية البليغة الموجهة إلى التعامل الاجتماعي. وقد شاع ذلك النوع في بلاد ما بين النهرين وسورية ومصر الفرعونية (نحو 2500ق.م). وقد انتفع العهد القديم عند العبرانيين من تلك الأمثال، وأشار إليها في أكثر من موضع ، كسفر الحكمة المنسوب إلى سليمان الملك وأسفار أيوب والمزامير المنسوبة لداود، وصاغها صياغة هلنستية. وأصبحت الحكمة لاحقاً تعني في الدين المسيحي الكلمة الإلهية ، وهي هنا حدسية، تأخذ صفة صوفية، وطابعاً دينياً. (20)

الحكمة wisdom في لغة الكتاب المقدس هي "إتقان الفعل والقول، وإحكامهما"، و معرفة الحق لذاته والخبر لأجل العمل به ، وهي النفاذ إلى باطن الأمور وحسن تدبيرها، والمعرفة الأتم ، والتبصر الثاقب. وقد لازمت الحكمة أصلاً العلم والفلسفة؛ فكانت علم العلوم، وحكمة الحكم، وصناعة الصناعات. والحكمة تسمى (صوفياً باليونانية) وهو الاسم القديم للفلسفة عند اليونانيين، وتعني العلم أو العلوم مجتمعة في وحدة غير متميزة. وقد أظهرت الحكمة نظرة روحانية شاملة للعالم والإنسان، دلّت على معانٍ لا تتعد عن الأخلاق والمعايير السلوكية الإنسانية، فكانت بذلك أصل العلوم جميعاً. وعلى هذا الأساس سمي من يختص بالعلوم كلها، بما فيها الطب، حكيماً.(21)

الحكمة هي إحكام الأمور، و تطلق على العلم والفلسفة ، والاستعمال القديم للكلمة يلاءم هذا التطور الذي يعزز مفهوم الكلمة في اليونانية "صوفياً". وفي الجانب العربي الصرف نجد الجرجاني يعرف "الحكم" بذلك المعنى الأول وهو "وضع الشيء في موضعه"، وهذا القول يوائم كل المواضع التعبيرية عن سلطان الحكمة و نضجها ، وهو ما يطلق عليه القرآن {حكمةً بآلغة} [سورة القمر: آية 5] أي الحكمة التي بلغت النضج. ويستعمل القرآن الحكمة عدة مرات بمعناها المؤلف ، وهي حكمة تتضمن علماً بالحقائق الروحية السامية.(22)

الحكمة عند الأدباء :

هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، وارتباط الأسباب بالمسببات، وأسرار انضباط نظام الموجودات، والعمل بمقتضاه، {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [سورة البقرة:269]. والحكمة المنطوق بها هي علوم الشريعة والطريقة. والحكمة المسكوت عنها هي أسرار الحقيقة التي لا يفهمها علماء الرسوم والعوام على ما ينبغي فتضرهم أو تهلكهم. والحكمة المجهولة عندهم هي ما خفي عليهم وجه الحكمة في إيجاده، كإيلاء بعض العباد، وموت الأطفال، والخلود في النار، فيجب الإيمان به والرضا بوقوعه، واعتقاد كونه حقاً وعدلاً. (23)

وتساوي كلمة سوفيا باليونانية، ساجيس Sageesse بالفرنسية، وزدم Wisdom بالإنكليزية، فيزهت weisheit بالألمانية وتستعمل في معان قلما ابتعدت عن الأخلاق، أو عن أن تكون نظراً في الوجود عميقاً رزيناً. كما دلت على الإتيان في القول والعمل معاً، وعلى الفطنة، والاتزان في السلوك والفكر، وعلى إحدى فضائل النفس الناطقة. كما لازمت العلم، والفلسفة؛ فكانت علم العلوم، وأم العلوم أو أصلها، وحكمة الحكم، وصناعة الصناعات. كما عكست نظرة روحانية شاملة للعالم والإنسان. (24)

الحكمة عند المفسرين :

تعددت آراء العلماء في كتب التفاسير المختلفة، قديماً وحديثاً، لتوضيح مفهوم الحكمة منها: أولاً: يوصل الرازي علاقتها بالعلم فيقول: هي علم سائر الشريعة التي يشتمل القرآن على تفصيلها. (25) وعلم أسرار أحكامه. (26) والعلم النافع الذي يكون له الأثر في النفس: فيوجه الإرادة إلى العمل كالقوى التي توصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة أي أنه تعالى يعطي الحكمة والعلم النافع المصروف للإرادة لمن يشاء من عباده، فيميز به الحقائق من الأوهام، ويسهل عليه التفرقة بين الوسواس والإبهام. (27) والعلم الكامل والإتيان للعمل (28) وهي العلم المقترن بأسرار الأحكام ومنافعها، الباعث على العمل بها وقد جاءت مفصلة لمجمل القرآن و مبنية لمبهمة كاشفة لما في أحكامه من الأسرار والمنافع (29) والعلم والفقه والقرآن وهي لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، والنبوة أعلى منزلة من الحكمة، والرسالة أخص، وكل ذلك يرشد إلى تمييز الحقائق من الأوهام، والتفرقة بين الوسواس والإلهام. (30) والمواعظ التي في القرآن من الحلال والحرام. (31)

ثانياً: يرى العديد من المفسرين أن الحكمة هي القرآن، فيقول: الحكمة بنفسها القرآن (32) والمعرفة بالقرآن: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله. (33) والفقه في القرآن وقراءة القرآن والفكرة فيه والفهم به. (34)

ثالثاً: ومن العلماء من يربط علاقتها بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم العملية و سيرته في بيته ومع أصحابه في السلم والحرب والسفر والإقامة، في القلة والكثرة. (35) قال الإمام الشافعي رحمه الله: الحكمة هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل لذلك بأنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب و تعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئاً

خارجا عنه وليس ذلك إلا السنة.(36)والنبوة:الحكمة وتعني وضع الأمور على الصواب وكمال ذلك إنما يحصل بالنبوة والعدل في السيرة.(37)

رابعا: يوصل بعض العلماء علاقتها بالعقل والفطنة (38) وأن آلتها هي العقل المستقل بالحكم في إدراك الأشياء بأدلتها، وفهم الأمور على حقيقتها ومن أوتي ذلك عرف الفرق بين وعد الرحمن و وعد الشيطان ، وعض على الأول بالنواجذ وطرح الثاني وراءه ظهريا.(39)

هذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتيان في قول أو فعل: فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس : فكتاب الله حكمة و سنة نبيه حكمة ، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة . وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، فقليل للعلم حكمة ؛ لأنه يمتنع به من السفه ، وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم.(40)

أنواع الحكمة :

للحكمة نوعان أساسيان هما: الحكمة النظرية و الحكمة العملية.
أما الحكمة النظرية : فهي الاطلاع على بواطن الأشياء ، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقاً وأمراً، وقدراً وشرعاً.(41) ولها ثلاثة أقسام:

1/ حكمة الـهية وهو علم بأحوال ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي دون التعقل إلى المادة كالإله وهو العلم الإلهي.

2/ حكمة رياضية : وهو علم ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي دون التعقل ، كالكرة وهو العلم الأوسط يسمى بالرياضي والتعليمي.(42)

3/ حكمة طبيعية: وهو العلم بأحوال ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي والتعقل ، كالإنسان وهو العلم الأدنى ويسمى بالطبيعي.

فالحكمة النظرية مرجعها إلى العلم والإدراك والحكمة العملية مرجعها إلى فعل العدل والصواب ، ولا يمكن خروج الحكمة عن هذين المعنيين، لأن كمال الإنسان ينحصر في أمرين: أن يعرف الحق لذاته، وأن يعمل به، وهذا هو العلم النافع والعمل الصالح.

والحكمة العملية : وهي وضع الشيء في موضعه. ولها ثلاثة أقسام أيضاً:

1/ علم الأخلاق أو الحكمة الخلقية أو تهذيب الأخلاق.

2/ علم تدبير المنزل أو الحكمة المنزلية .

3/ علم السياسة أو الحكمة السياسية أو الحكمة المدنية وسياسة الملك.(43)

الحكمة في القرآن الحكيم:

القرآن الكريم هو معجزة علمية خالدة في التاريخ الإنساني ، ووجهه الاجتماعي من حيث تأثيره في العقل الإنساني، فهو معجزة التاريخ العربي خاصة، ثم هو بآثاره النامية معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على وجه البسيطة . وكان نزوله حسب مقتضى الحال ، منجما سورة سورة ، وآية آية. وقد ظل ينزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من نحو 23 سنة منها عشر سنوات في المدينة

ولقد كان للقرآن أثر كبير في الحياة الفكرية الإنسانية فهو أول كتاب يدعو إلى التوحيد ويبرهن عليه، وأول كتاب عربي حفظ اللغة العربية ووحده لهجاتها المتعددة وأغنى مفرداتها

وتعابيرها وأضاف إلى آدابها وعلومها، فشكل بذلك إطار وحدة الأقطار العربية والإسلامية الثقافية والروحية، بحيث لا يزال المسلمون ، في مختلف أمصارهم ، يتقاربون به ويتفاهمون بنصوصه وأحكامه. كما أنه أول كتاب عربي يدعو إلى نبذ التقليد ويطلب باستعمال العقل و اعتماد البحث والتحليل والملاحظة والاستقراء و الاستنتاج و غيرها من أساليب البحث العلمي المعاصر.(44)

تفسير الحكمة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم لعدة معان ، فمن ذلك :

أولاً: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 151/2]
فالحكمة هنا تعني : ما تكمل بها نفوسهم من المعارف والمكارم.(45)

الحكمة هي المعرفة بالدين والفقه فيه. والصواب من القول ، والحكمة هي العلم بأحكام الله والمعرفة بها التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما دل عليه ذلك من نظائره.(46) والحكمة السنة و المعرفة بالدين.(47)

و الحكمة هي العلم بسائر الشريعة التي اشتمل القرآن على تفصيلها وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.(48)

وهي العلم المقترن بأسرار الأحكام ومنافعها، الباعث على العمل بها ، ذاك أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم العملية وسيرته في بيته ومع أصحابه في السلم والحرب، والسفر والإقامة، في القلة والكثرة، جاءت مفصلة لمجمل القرآن مبيّنة لمبهمة كاشفة لما في أحكامه من الأسرار والمنافع.(49) ، لذلك قال الشافعي رحمه الله : الحكمة هي سنة الرسول عليه السلام.(50)

فالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أوقفوا حياتهم لفقه الدين ، ونفذوا إلى سرّه ، فكانوا حكماء علماء عدولاً أنكيا، حتى إن أحدهم كان يحكم المملكة العظيمة و يقيم فيها العدل و يحسن السياسة وهو فرد واحد، لم يحفظ من القرآن إلا بعضه لكن فقهه و عرف أسرار أحكامه.(51)

ثانياً: { وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة: 231].

ذكر أبو الحيان معنى الحكمة في الآية فقال : " الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل لذلك بأنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب و تعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئاً خارجاً عن الكتاب وليس ذلك إلا السنة وهي الفصل بين الحق والباطل".(52)

ثالثاً: { فَهَرَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة: 251].

والحكمة هنا وُضع الأمور في محلها على الصواب و كمال ذلك إنما يحصل بالنبوة.(53) و يبرز في صورة العدل في السيرة.(54)

رابعاً: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [البقرة: 269].

وفسرت الحكمة هنا بالعلم النافع الذي يكون له الأثر في النفس ، فيوجه الإرادة إلى العمل بها مما يوصل إلى السعادة ، أي أنه تعالى يعطي الحكمة والعلم النافع المصروف للإرادة لمن يشاء من عباده ، في الدنيا والآخرة فيميز به الحقائق من الأوهام، ويسهل عليه التفرقة بين الوسواس والإلهام. وآلة الحكمة هي العقل المستقل بالحكم في إدراك الأشياء بأدلتها، وفهم الأمور على حقيقتها ومن أوتي ذلك عرف الفرق بين وعد الرحمن ووعد الشيطان، وعض على الأول بالواجب وطرح الثاني وراعه ظهرها.(55)

يرى الموردي أن لفظ الحكمة في كتاب الله ورد لسبعة معان : العلم بالدين ، النبوة ، الخشية ، الإصابة، الكتابة ، العقل ، الفقه في القرآن.(56) وفي نظري أن محتوى الحكمة أوسع من ذلك : فالعلم النافع المؤدي إلى العمل ... و الفهم الصحيح وإتباع المعلوم المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة كل ذلك داخل فيها. ومن الحكمة العلم والفقه والقرآن، وهي لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلى النبوة، والرسالة أخص ، لأن ذلك يرشد إلى تمييز الحقائق من الأوهام ، والتفرقة بين الوسواس والإلهام.(57)

ومن الحكمة : المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره، وحلاله و حرامه و أمثاله.(58)

خامساً : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [آل عمران: 3 / 164].

المقصود من الحكمة هنا : النبوة والرسالة و المواعظ التي في القرآن من الحلال والحرام.(59)

سادساً : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا } [النساء: 4 / 54].

وفسرت الحكمة في الآية بالنبوة.(60) والعلم.(61)

سابعاً : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل: 125].

الحكمة هنا المقالة المحكمة المصحوبة بالدليل الموضحة للحق المزيلة للشبهة.(62)

ثامناً : { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } [لقمان: 12].

والحكمة هنا العقل والفتنة : أي ولقد أعطى سبحانه لقمان الحكمة ، وهي شكره و حمده على ما آتاه من فضله بالثناء عليه بما هو أهل له ، وحب الخير للناس و توجيه الأعضاء إلى ما خلقت له .(63) والفهم

والعقل والنبوة.(64)

تاسعاً : { وَسَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ } [ص: 20].

والحكمة : هي إصابة الصواب في القول والعمل . { وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ } - أي وأعطيناه العلم الكامل ، والإتقان للعمل، فهو لا يقفم على عمل إلا إذا عرف موارده و مصادره، مبادئه و غاياته على نحو الصواب.(65)

عاشراً : { حِكْمَةً بَالِغَةً فَمَا تُغْنِ النَّجْمُ } [القمر: 5].

فالحكمة البالغة : التامة واصلة غاية الأحكام والإبداع ، لا خلل فيها.(66)إنما هو الأمان ، وهي هبة الله للقلب المتهيئ للإيمان ، المستحق لهذا الإنعام ، وعند هذا الحد من تصوير إعراضهم وإصرارهم ، وعدم انتفاعهم بالأنبياء ، فانتهم جدوى النذر .(67)

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعريف الحكمة هي : "الإصابة في الأقوال والأفعال ، ووضع كل شيء في موضعه ، ومن هنا قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره في بيان معنى الحكمة:

"أي كل أحد على حسب حاله وفهمه ، وقبوله وانقياده ، ومن الحكمة : الدعوة بالعلم لا بالجهل ، والبدء بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرفق واللين ، فإن انقاد بالحكمة ، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة ، وهو الأمر ، والنهي المقرون بالترغيب والترهيب ، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها ، والنواهي من المضار وتعدادها ، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله ، وإهانة من لم يقم به ، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين ، من الثواب العاجل والأجل ،

وما أعد للعاصيين من العقاب العاجل والأجل ، فإن كان المدعو ، يرى أن ما هو عليه حق ، أو كان داعية إلى الباطل ، فيجادل بالتالي هي أحسن ، وهي الطرق التي تكون ادعى لاستجابته عقلاً ونقلاً ، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقددها ، فإنه أقرب إلى حصول المقصود ، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة ، تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها ، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها".(68)

وقال القاسمي في تفسير الحكمة هنا : الحكم : إتقان العلم والعمل ، وبعبارة أخرى: معرفة الحق والعمل به.(69)

ويرى الشيخ رشيد رضا أن الحكمة :التمييز بين ما يقع في النفس من الإلهام الإلهي والوسواس الشيطاني.(70)

وبتمثل الحكمة خاض المسلمون في النهضة العلمية والثقافية لأنهم وجدوا في الدعوة الإسلامية ما يحثهم على طلب العلم . كما كان للتحديات الحضارية التي واجهتهم ، و الحاجات الملحة التي أحسوا بها إبان حروبهم ضد القوى العاتية ، دور في بعث همهم والشخوص بأبصارهم إلى مركز الثقافة اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية وغيرها من الحضارات القديمة العظيمة ، فأخذوا علومها و ترجموها إلى لغتهم العربية وتمثلوا ما ترجموه بعد تنقيح ، وبذلك صبغوا تلك العلوم بطابعهم الخاص المستمد من دينهم وبيئتهم ومثلهم وأخلاقهم.(71)

الحكمة والعقل:

من معاني الحكمة العقل والفتنة. {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[لقمان:12].

ومن هنا أولى الإسلام اهتمامه بالعقل و جعله دليل المسلم إلى الإيمان الجاد الذي لا تزغعه الهواجس والشكوك. فمفهوم العقل هو الحجر والنهي ضد الحمق ... وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك ، أي يحبسه .(72). ولم يرد لفظ "العقل" في القرآن الكريم مصدرأ قط ، وإنما ورد في صيغ فعلية متعددة ، حتى يتجدد نشاطه ، لأن الفعل يفيد التغيير وعدم الثبات (تعقلون، يعقلون، نعقل ، يعقلها، عقولوه). وقد تضمنت الآيات

الواردة في هذه الصيغ كل المعاني التي أوردتها رجال الفكر الإسلامي فيما بعد ، فمن ذلك قوله تعالى:

{ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ } [البقرة: 75 / 2]
 { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرْبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت: 43]
 { صُمُّكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [البقرة: 171 / 2]
 { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف: 3]
 { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الأنعام: 32 / 7]

{ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [المائدة: 103 / 5].
 فجاء التنبيه الإلهي من أن العقل أداة للتمييز بين الخير والشر وإمساك النفس عن الأهواء والشرور ، فلماذا لا تستعملونه ؟

كما أن هناك آيات كثيرة تدعو إلى التفكير والنظر والتأمل والتبصر والاعتبار. وجميعها ترتبط بالعقل وتحث على العودة إليه في جميع الأمور ، من ذلك قوله تعالى:
 { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } [البقرة: 266 / 2]
 { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [يونس: 101 / 10]
 { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } [الذاريات: 21]

وهكذا يتبين لنا مما سبق، أن الإسلام رفع من مكانة العقل وأحله في المقام الأول ودعا إلى استعماله والعودة إليه في شتى الأمور حتى يتمكن الإنسان من ارتياد أفضل السبل المؤدية إلى تقدمه و تطوره.

الحكمة في السنة النبوية :

السنة هي المفسرة للقرآن ، وهي المصدر الثاني للتشريع، وطلباً للاختصار نقتصر على بعض الأحاديث البارزة التي وردت فيها كلمة الحكمة لنحدد مفهومها .

1 / فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ضمنى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى صدره، وقال: " اللهم علمه الحكمة"⁽⁷³⁾. وفي رواية : قال ضمنى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " اللهم علمه الحكمة"⁽⁷⁴⁾.

قال البخاري :الحكمة: الإصابة في غير النبوة. قال ابن حجر: واختلف في المراد بالحكمة هنا: فقيل :الإصابة في القول. وقيل: الفهم عن الله. وقيل : ما يشهد العقل بصحته. وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس. وقيل: سرعة الجواب بالصواب. ومنهم من فسر الحكمة هنا بالقرآن⁽⁷⁵⁾.

2/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه"⁽⁷⁶⁾.

3/ عن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها.⁽⁷⁷⁾ والحكمة هنا فسرت بالقرآن، كما ورد تفسيرها في حديث آخر.⁽⁷⁸⁾

- 4/ عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن من الشعر حكمة. (79)
قال ابن حجر: إن من الشعر حكمة، أي: قولاً صادقاً مطابقاً للحق. وقيل: أصل الحكمة: المنع، فالمعنى: إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من السفه. (80)
- 5/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية". (81) قال ابن حجر: إن المراد بالحكمة: العلم المشتمل على المعرفة بالله. (82)
- 6/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها. (83)
- 7/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية. (84)
- 8/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا دار الحكمة وعلي بابها. (85)
- 9/ عن ابن عباس قال: دعالي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتيني الحكمة مرتين. (86)
ومعاني الحكمة في هذه الأحاديث قريبة من المعاني التي ذكرتها عند بيان الحكمة في كتاب الله.

الهوامش

- 1- ابن منظور: لسان العرب- دار إحياء التراث العربي - ط:1- 1408هـ- ج 270/3-272، الراغب الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن-المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية- ص137.
- 2- ابن منظور: لسان العرب ج 270/3-272، الزبيدي، مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ج 353/8، اليوسي، الحسن: زهر الأكم في الأمثال والحكم - منشورات دار و مكتبة الهلال_ بيروت 2003م ج 27/1.
- 3- أحمد رضا: معجم متن اللغة - دار مكتبة الحياة - بيروت 1377هـ- ج 2/140.
- 4- الزبيدي، مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس ج 353/8، ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق- دارالمعرفة - لبنان- 1978م- ص18.
- 5- عبدالرؤف المصري: معجم القرآن - دارالسرور - بيروت لبنان- 1367هـ- ص 191.
- 6- ابن الأثير: النهاية في الغريب الحديث والأثر-طبع القاهرة -1311هـ- ج 419/1، الراغب الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن - ص137.
- 7- عبدالرؤف المصري: معجم القرآن - ص 191.
- 8- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين -تحقيق: محمد حامد الفيقي-دار الكتاب العربي- لبنان - د.ت.2. 478/، التهانوي، محمد علي بن علي: كشف اصطلاحات الفنون- دار الكتب العلمية -لبنان 1998- ج 506/1.
- 9- الأحسائي، أحمد بن زين الدين: شرح الزيارة الجامعة، ط:1- مطبعة السعادة كerman ج 171/1.
- 10- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ج 478/2، الراغب الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن ص137.
- 11- الزبيدي، مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس - ج 353/8، الجرجاني: كتاب التعريفات - دارالكتب العلمية - بيروت لبنان- ص 91، عبدالرؤف المصري: معجم القرآن - دارالسرور- ص 191.
- 12- أحمد بن مصطفى: مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم- دارالكتب العلمية - لبنان- ج 383/1، حميد الدين فراهي: حكمة القرآن - فاران فاؤنديشن - لاهور - 1995 ص 52.
- 13- عبدالأعلى السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ج 371/4.
- 14- الزيات: تاريخ الأدب العربي - قديمي كتب خانه - كراتشي- د.ت ص 18.

- 15- الطباطبائي: تفسير الميزان 1 ج / 173.
- 16- مجموعة من المختصين: بإشراف صالح بن عبدالله بن حميد: نظرة النعيم/5/1679.
- 17- المصدر نفسه ج 50/1.
- 18- الطباطبائي: تفسير الميزان ج 2/395.
- 19- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون 1 ج / 676، البستاني: دائرة المعارف دار المعرفة لبنان - د.ت 130/7.
- 20- هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية- الجمهورية العربية السورية - ج 8/446.
- 21- المصدر نفسه والصفحة.
- 22- إبراهيم زكي خورشيد: دائرة المعارف الإسلامية- مطابع دار الشعب بالقاهرة - د.ت - ج 15/239.
- 23- سميح دغيم: موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي - مكتبة لبنان- د.ت. 467/1.
- 24- معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية- لمعهد الإنماء العربي - 1986م - 1 ج / 385.
- 25- الرازي: التفسير الكبير ج 2/140.
- 26- محي الدين بن عربي: تفسير القرآن الكريم ج 1-155-157/1 و تفسير المراغي ج 2/19.
- 27- المراغي : تفسير المراغي ج 3/42.
- 28- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ج 3/230، تفسير المراغي ج 23/105-106.
- 29- المراغي : تفسير المراغي ج 2/19.
- 30- سيد قطب إبراهيم: في ظلال القرآن- دار الشروق- القاهرة ج 2/127.
- 31- الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم - حققه عبدالعزيز سيد الأهل دار العلم للملايين بيروت- 1977م - ص 141-142.
- 32- السيوطي : الدر المنثور في التفسير المأثور- دار الفكر- د.ت 2 ج / 166.
- 33- الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن دار الفكر 1988م - ج 3/89، قطب إبراهيم: في ظلال القرآن ج 2/127.
- 34- الطبري: جامع البيان ج 3/90، السيوطي: الدر المنثور ج 2/66.
- 35- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج 3/330، تفسير المراغي ج 2/19.
- 36- ابن عربي: الفتوحات الإلهية ج 1/281.
- 37- الماوردي: النكت والعيون تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان د.ت 129/1.
- 38- تفسير الماوردي ج 1/344-345، الجوزي : زاد لميسر في علم التفسير - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط: 1 - 1407 هـ / 1987م بيروت - لبنان / ج 6/161، تفسير المراغي ج 1/79-78.
- 39- المراغي: تفسير المراغي ج 3/41-42.
- 40- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج 2/330.
- 41- سعيد بن وهف القحطاني، www.Dawahaw.com - ص 1.
- 42- ابن سينا: عيون الحكمة حققه عبدالرحمن بدوي- منشورات المعهد العلمي بالقاهرة 1954م - ص 17 القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم - دار ابن حزم - ج 2/377.
- 43- التهانوي: مقدمة كشاف اصطلاحات الفنون- ص 52.
- 44- حبيب جابر: الإسلام بين البداوة والحضارة - ص 68.
- 45- د. ايمان بن عمر العجيلي: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان 1406هـ - ج 1/161.
- 46- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن - دار الفكر بيروت لبنان 1988م - 1 ج / 557.
- 47- الماوردي: النكت والعيون تفسير الماوردي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت 129/1.
- 48- الرازي: التفسير الكبير - ج 2/140.

- 49- المراعي : تفسير المراعي ج 2 / 19.
- 50- الرازي:التفسير الكبير ج 140/2.
- 51- المراعي: تفسير المراعي ج 19/2.
- 52- سليمان بن عمر العجلي: الفتوحات الإلهية ج 281/1.
- 53- أبو الحيان الأندلسي الغرناطي: البحر المحيط في التفسير - دار الفكر - ج 683/2.
- 54- الماوردي : النكت والعيون ج 253/1.
- 55- المراعي:تفسير المراعي ج 42-41/3.
- 56- الماوردي :النكت والعيون ج345-344/1.
- 57- التفسير المنير ج 70-69/2.
- 58- قطب ابراهيم: في ظلال القرآن - دار الشروق - القاهرة ج 127/2.
- 59- الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم - حققه عبدالعزيز سيد الأهل دار العلم للملايين بيروت -1977م - ص 141-142.
- 60- المصدر نفسه - ص 145.
- 61- أبو القاسم محمد بن احمد الكلبي الغرناطي - تحقيق دار لإحياء التراث العربي - بيروت لبنان 2004م - ج 197/1.
- 62- المراعي : تفسير المراعي ج 158/14.
- 63- المراعي: تفسير المراعي ج79-78/21.
- 64- الجوزي: زاد لميسر في علم التفسير - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط:1 1407 هـ / 1987م بيروت - لبنان - ج 161/6.
- 65- المراعي : تفسير المراعي ج 106-105/23.
- 66- المصدر نفسه: تفسير المراعي ج 79/27.
- 67- تفسير المنير: ج 157/14.
- 68- السعدي: تيسير الكريم المنان ج 93-92/3.
- 69- القاسمي: تفسير القاسمي 1 ج 245/ .
- 70- محمد رشيد رضا:تفسير المنار- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر - 1990- ج 75/3.
- 71- حبيب جابر: الإسلام بين البداوة والحضارة- ص 118.
- 72- ابن منظور:لسان العرب- ج 458/11.
- 73- البخاري (3756).
- 74- المصدر نفسه والصفحة.
- 75- ابن حجر: فتح الباري ج 100/7.
- 76- البخاري: صحيح البخاري (349)، ومسلم (163).
- 77- البخاري (73) ، ومسلم (816).
- 78- ابن حجر :فتح الباري ج 167/1.
- 79- البخاري:الفتح الباري ج (6145/10).
- 80- البخاري (6145).
- 81- البخاري (4388)، ومسلم (52).
- 82- ابن حجر :فتح الباري ج 532/6.
- 83- الترمذي:جامع الترمذي- أبواب العلم- فاروقى كتب خانة بيرون بوهر كيت ملتان ج 93/2.
- 84- المصدر نفسه،باب المناقب ج 122/2.
- 85- الترمذي:جامع الترمذي- أبواب المناقب ج 214/2.
- 86- المصدر نفسه ج 223/2.